مقابلة مع السيد سمير الصُميدعي سفير العراق في واشنطن

أجرى المُقابلة: وســام كاكو

شخصية لطيفة وهادئة ومُثقفة حطت رحالها في سان دييكو مؤخراً ضمن وفد السفارة العراقية وقد استقبلها أبناء شعبنا في سان دييكو بترحاب كبير .

كان يوم الأربعاء 2 تموز 2008 هو اليوم الذي وصل فيه السادة أعضاء السفارة العراقية وفي مُقدمتهم السيد السفير سمير الصُميدعي الى سان دييكو وقد أجرى مشكوراً ندوة شاملة وأخوية وبعيدة عن أية تشنجات، مألوفة في مثل هذه المناسبات، بفضل حنكته وقدرته على إدارة النقاش بكفاءة استثنائية. كان الجمهور كبيرا والأسئلة كثيرة وقد أجاب عليها السيد السفير بكل هدوء ورحابة صدر رغم تنوعها وتناولها لمجالات كثيرة. من جملة الأمور التي ستبقى عالقة في الذهن لفترة طويلة هي إن السفير قال:

بعض الأخوة أرادوا أن يُوفروا لي الحماية فرفضت وقلتُ لهم –وهو يؤشر صوب الحضور- أولئك هم حمايتي. كما إنه رفض أن تكون الأسئلة مكتوبة، بل أن تُسأل شفاهاً وعندما سألته عن سبب ذلك في مقابلتي معه قال: كان ذلك لكسر الحاجز النفسي بين الناس والسفارة.

سأل الحاضرون عن الوضع العراقي والجوازات العراقية والتقاعد وإمكانية فتح قنصلية في سان دييكو التي قال عنها السيد السفير بأنه حصلت الموافقة على فتح قنصلية في ميشيغان وأخرى في كاليفورنيا، ولكن لم تُحدد المواقع بعد، كما سأل الحاضرون عن أسباب عدم قدرة الحكومة العراقية الحالية على حل مشاكل العراق وإحراز ولو تقدم بطيء في جوانب الحياة المُختلفة وبالذات في الجانب الأمني والقضاء على الفساد المُستشري في مرافق الدولة العراقية .

كان من بين الحضور السناتور ددّة الذي قال لي بعد الندوة ما ترجَمَته: مضى على الحرب الأهلية في أميركا ما يُقارب الـ 140 عاما وما زال الناس في الولايات الجنوبية من أميركا يُعانون من تأثيراتها فكيف الحال بالعراق، إنها ستأخذ وقتاً طويلا فالمشكلة العراقية لم تكن مشكلة سهلة.

في صباح اليوم التالي إلتقيت بالسيد السفير الصُميدعي بشكل شخصي في مكان إقامته في سان دييكو وقد أجريتُ معه مقابلة سريعة.

بعد ترتيبات بسيطة وأسئلة تعريفية سألته: في عام 1982 نُشرت دراسة من قبل أحد الدارسين يقول فيها : العراق بلد مُلتصق ببعضه بواسطة ثلاثة عوامل هي: نظام قوي، جيش قوي وموارد نفط، وهي دراسة طويلة لا أود أن أدخل في تفصيلاتها الآن، ولكنه يقول إنه لو تم التخلص من هذا العوامل الثلاثة فإن العراق سيكون جملة فئات من البشر ألصقوا ببعضهم بالقوة، ما رأيكم بهذا الموضوع؟

- أنا بالتأكيد لا أتفق معه لأن العراق مُلتصق ببعضه بشيء أكبر بكثير من ذلك وهو التاريخ وأعتقد إن الناس الذين يعيشون الآن في العراق انحدروا من أصول متآلفة وعاشوا في العراق مع بعضهم لمدة قرون، نحن عشنا في بيئتنا ونعرف إن أباءنا وأجدادنا عاشوا في بيئتنا والتغير الديمغرافي كان قليلاً جدا في العراق وهو كما كان قبل المئات من السنين، نعم حصلت عمليات نزوح، مثل موجة النازحين الأرمن الى بغداد في مطلع القرن العشرين، ولكنهم اندمجوا مع المجتمع العراقي اندماجا عميقاً، لذا أعتقد إنه من الخطأ أن يتم تصنيف الشعب العراقي بأنه مجاميع مُتنافرة وما يجمعه هو نظام حكم دكتاتوري.

- ولكن ما حصل من الناحية العملية هو إنه أول ما تم تقرير عملية التغيير فإن ما تم ضربه هو بالضبط العوامل الثلاثة المذكورة: النظام القوي والنفط والقوات المُسلحة، ولاحظنا بعدها بشكل غير طبيعي عملية المُحاصصة وعملية التفتت التي حصلت.

- هذه يُمكن أن نبحث عن تفسيرها ليس ضمن هذه النظرية وإنما في تفسيرات وعوامل أخرى. الدكتاتورية بالذات هي التي مارست اضطهاد عنصري وإضطهاد طائفي ومارست اضطهاد عام، هذه الممارسات خلقت أجواءً من ردود الفعل، وعندما زالت الدكتاتورية ظهرت ردود الفعل لأنه لم يبق قيود عليها، أشبّه هذه الحالة بالبندول، فعندما تسحبه الى جهة ما ثم تتركه فإنه لا يتوقف في الوسط وإنما يتجاوزه، أنا أعتقد إن عملية رد الفعل هذه سنتجاوزها وسنرجع الى حالتنا الطبيعية والمجتمع العراقي سيرجع الى حالة التوازن، والدليل على هذا إن ردة الفعل هذه أخذت مداها في التطرف والتطرف المُقابل والعنف الطائفي الذي وصل ذروته في عام 2006 ولكن المُجتمع العراقي ككل رفضه، رفض التطرف، المُجتمع السني انقلب على القاعدة وطردها وأعطى تضحيات كبيرة حتى يتخلص منها في مناطقه، المُجتمع الشيعي ايضاً رفض التطرف وانقلب ضده،

أنا أعتقد الآن إن البندول بعد أن تجاوز الوسط أخذ يرجع الى الوسط، هذه النظرية تُفسر بشكل أدق وأفضل من النظرية التي تفضلت بها.

- نعم، ولكن لنتدرج الى الخطوة التي بعدها. الذي حصل إنه بعدما أخذ البندول يستقر عند الوضع الوسطي نتجت لدينا مناطق لها سمات خاصة بها، ويُمكن تفسير ذلك ضمن عملية الفدرالية والتقسيم الفدرالي، ولكن هذه الخصوصية لا أعتقد أنها كانت موجودة بهذه الحدّة في السابق فنحن نسمع من أهلنا هناك، إنه بسبب الوضع الحالي والجو العام السائد، حتى الجيران انقلب على جيرانه في المنطقة الواحدة وبالنتيجة يُغادر أحدهما الى المنطقة التي يحمل سكانها سلوكيات أكثر تساهلاً معه.

- أنا أعتقد أيضاً ان هذا يكاد يكون تفسيراً قسرياً للظواهر التي تفضلت بها، نحن نعرف إن المناطق المُختلفة في العراق لها خصوصية وهذه ظاهرة طبيعية ليس فقط في العراق، إذهب الى إيطاليا ستجد إن شمال إيطاليا يختلف كلياً عن جنوب إيطاليا وله خصوصية كبيرة من الطعام والعادات اليومية الى حتى اللهجة. نحن نعرف طبائع اهل البصرة ونعرف أهل الموصل وما هي طبائعهم وكذلك نعرف إخواننا الأكراد. هذا التنوع موجود ومقبول، ولكن ضمن العراق فالتنوع بحد ذاته والخصوصية بحد ذاتها من وجهة نظري على الأقل هي إثراء للدولة والمجتمع. نحن الآن نتلمس طريقنا عودةً الى الإتزان، طبعا بعد أن حصل الزلزال وذهب النظام السابق، ذهبت معه الكثير من الهياكل المُساندة والشرائح المُنتفعة منه، صار الانقلاب ليس فقط سياسيا وإنما إنقلابا اجتماعيا أيضاً هذا يُعطي لكم تفسيرا أدق للشيء الذي جنابك لاحظته، أنت تعرف إن العالم أو علماء إثنين يُمكن أن ينظروا الى نفس الظواهر ويُفسروها بتفسيرات مُختلفة، ولكن التفسير الذي ينطبق على الواقع ويستقرئ المُستقبل هو التفسير الصحيح.

- ضمن نفس هذا الموضوع إذا كان هذا التنوع مقبولاً

- ليس فقط مقبولاً، بل مُرحباً به.

- وأيضاً الفدرالية مُرحب بها كما فهمتُ منكم البارحة..

- بالتأكيد.

يبقى موضوع آخر هو إنه في الفترة الأخيرة أثير موضوع إن أبناء الأقليات مُهمّشون ومُضطهدون، صحيح إن الوضع العام أنتج هذا التهميش الاضطهاد، لكن لو وجدت خطوة لتحسين الوضع الحالي الذي يعيشون به جماعة الأقليات في العراق ومن ضمنها إعطاء الحكم الذاتي لمجموعة معينة من هذه الأقليات كيف تنظر لهذا الموضوع؟

- أنا أنظر إليه بالشكل التالي، الخطوة الأولى والأساسية والضرورية هي التأكد من احترام القانون وحماية المواطن من قبل القانون، حماية المواطن من قبل القانون هو المبدأ الأساسي الذي بدونه كل الأمور الأخرى تكون مُعرضة للخطر، لكنه ليس بهذه البساطة لأنه يحتاج الى أجهزة أمن قادرة وكفوءة وغير مُتحيزة، وولاؤها للقانون فقط وليس لأية جهة أخرى ويحتاج أيضاً الى جهاز قضائي سليم وحيادي ويدين بولائه للقانون فقط، إذا كان هذان الجانبان موجودان استطعنا أن نضمن حقوق المواطن تحت القانون، والقانون يمنع التحيز ، يمنع العنف ويُعطي الحماية. نحن لم نصل الى هذه المرحلة بعد بسبب إننا ما زلنا نعاني من عجز في كل المُتطلبات التي تضمن حقوق المواطن. في هذه الأجواء تُعاني الأقليات أكثر من غيرها لأن الأكثرية تحتمي بكثرتها وتحتمي بهياكل اجتماعية مثل القبائل وغيرها ، الأقلية تكون مُعرضة للاضطهاد

مثلما رأينا مع إخوتنا الصابئة خصوصاً، أناس مسالمون طيبون يسكنون العراق من آلاف السنين وهم من أقدم سكان العراق، تعرضوا الى اعتداءات من قبل مجرمين وميليشيات ومُبتزين، هذا يلقي بمسؤولية إضافية على الحكومة، أن ترعى وتعتني بهؤلاء ليس فقط الصابئة بل كل الأقليات، توليهم عناية أكثر من المعدل لأن هذا فقط يُعوض عن العجز الموجود في الأجهزة، طبعاً الحكومة في هذه الظروف تُعاني من كثير من الضغوط من كل الجهات، لأنه مطلوب منها تقديم الخدمات ومطلوب منها تحسين تنظيماتها واداءها في كل المستويات، وكل هذا في حالة حرب أي تحت النار وفي حالة تجاذب سياسي وفي حالة استقطاب طائفي يعني حالة غير طبيعية، يجب أن تقوم الحكومة بإداء كل هذه الأشياء وليس غريباً أن نرى بعض القصور، السؤال الذي أكدتُ علية في حديثي يوم أمس وأؤكد عليه الآن هو: هل الأمور تسير باتجاه أحسن أم تسير باتجاه أسوأ. أنا أعتقد إن الأمور تتجه باتجاه أفضل..

- ولكن المدة غير مُحددة!

- المُدة قد تبدو طويلة، ولكنها محكومة بالظروف على الأرض، وهناك عامل آخر هو إنه عندما تبدأ الأمور بالتحسن يحصل تسارع لأن التحسن في باب ينصب بتحسن في باب آخر وهذا يعود بالنفع على الباب الأول وهكذا، أي تكون حلقة إيجابية.

- إذن أستاذ سمير عملية الحكم الذاتي كرأي شخصي...

- أرجع الى موضوع الحكم الذاتي، نحن تبنينا موضوع الفدرالية ووُضعت لها شروط وقواعد، أنا عبّرتُ عن رأيي في الاجتماع وقلت بأني ضد الفدرالية الطائفية المبنية على تقسيم طائفي لأننا متداخلون وإذا حاولنا زج العراق بمثل هذا النوع من التقسيم فهذا سيخلق مشاكل أكثر من أن يحلها، الأفضل أن تكون الفدرالية أداة لتحويل الحكم من حكم مركزي الى حكم لا مركزي إعطاء المناطق المُختلفة القدرة على تسيير أمورها المحلية بشكل يسير وبدون تسلط مركزي هذا نظام مُتبع عالمياً وحضارياً، العراق فيه خصوصية ونحن قبلنا بها، بالنسبة للأقليات إذا كان بالإمكان استعمال الشروط الموجودة في الدستور لتفسير الحكم الذاتي: نعم، مع ذلك أنا ضد التقسيم على أساس إثني أو طائفي أو حتى ديني.

- ولكن هذا الواقع موجود، لا نستطيع أن ننكر إن الأكراد في الشمال، الشيعة في الجنوب والسنة في الوسط فلماذا عندما نصل الى موضوع الأقليات توجد حساسية؟

- كلا لا توجد حساسية، لا ضير أبداً من وجود مدينة صغيرة عربية في كردستان وتوجد مدن كردية خارج منطقة كردستان وعليها خلاف، أنا أعبر عن وجهة نظري أنا أعتقد إن الفدرالية على أساس جغرافي تخدم العراق أكثر من الفدرالية على أساس إثني أو طائفي، الآن نأتي الى الأعداد أيضاً: كتلة الأكراد البشرية والمساحات التي يشغلوها تختلف من حيث الكم عن الأقليات الأخرى، والذي حدث إنه بعد عام 1991 أداروا هذه المناطق بأنفسهم بكفاءة ونجاح واستقر الأمن بعد أن دخلوا ببعض المطبات وأثبتوا لأنفسهم ولباقي العراقيين إنهم قادرون على هذا لذا لا ضير من استمرار هذا الوضع خاصة وإنه أدى الى ازدهار مُستمر، إذن هذه تجربة ناجحة علينا إن نستفيد منها في بقية العراق .إذا حصلت الحماية للجميع بحيث لا يشعر الكلداني والأشوري إنه مُهدد في حياته وإنه آمن في قريته أو مدينته أو غيرها وأيضا له الحق الكامل في ممارسة حياته الثقافية والاجتماعية ومن كل النواحي في جو مُنفتح على التعددية الثقافية، فأنا أعتقد إن هذا الخوف سيزول، فالرغبة هي في جزئها الكبير بدافع الخوف من الاضطهاد وهذا الاضطهاد حصل وحاصل الى درجة الخوف .

- أستاذ سمير حسب الإحصائيات فإنه على المدى البعيد الذي تقول عنه، ممكن بعد 20 أو 30 سنة لن يبقى مسيحي واحد داخل العراق أفليس من الأفضل، حتى على الأقل كي تُبين الحكومة المركزية أو غير المركزية مصداقيتها في التعامل مع هذه المجموعة، أليس من الأفضل تخصيص منطقة لهذه المجموعة لكي يعيشوا بشكل آمن فيها ضمن العراق الواحد الفدرالي.

- من حق الجميع أن يُطالبوا بما يشاؤون، ولكن ما أقوله فعلا هو إنه لو استمرت الهجرة على الوتيرة التي كانت عليها خلال السنتين أو الثلاث الماضية، ليس فقط بالنسبة للمسيحيين بل لكل العراقيين فإن العراق يُمكن أن يفرغ بعد خمس أو عشر سنوات ولكن ما حصل هو إنه انحسرت وتيرة الهجرة. وتيرة الهجرة التي لاحظناها في نهاية 2006 والنصف الأول من 2007 كانت كبيرة جدا، الآن شبه توقفت نحن نتطلع ليس فقط الى إيقاف الهجرة، بل عودة الناس، نحن نريد من الناس أن يرجعوا ونتوقع تحسناً أمنياً وهذا حاصل لكن نتوقع تعزيز هذا التحسن وتثبيته، في هذه الأجواء يجب أن يكون تركيزنا على إعادة النسيج الاجتماعي العراقي.

- هل تتصور إن الوجود الأمريكي في العراق عامل سلبي ام إيجابي في عملية التحسين؟

- هو عامل سلبي وإيجابي في نفس الوقت. سلبي من بعض النواحي وإيجابي من بعض النواحي، ولكننا بالتأكيد بحاجة الى هذا الوجود لأنه بدونه سيكون هناك فراغ أمني كبير.

- لأية فترة حسب تصوركم؟

- أولاً لأقصر فترة ممكنة، وثانياً للفترة التي نحتاجها لنُثبت قوى الأمن الخاصة بنا والآن أرجع الى الشروط التي ذكرتها في بداية الحديث فنحن بحاجة الى قوى أمن ليس فقط من حيث العدد وإنما أن تكون مُحايدة ويكون ولاؤها للقانون وللدولة وليس لأية جهة أخرى وللعراق الواحد الذي حدده الدستور، وأجهزة قضائية أيضاً لأن الشرطة بدون قضاء لا تعني شيئاً لذا نحن بحاجة الى جانبين لتحقيق العدالة وحماية القانون.

- الاتفاقيات الأربعة المُقترحة أخيراً بين العراق وأميركا، هل أنت معها أم ضدها؟

- التي هي الآن تحت التفاوض؟

- نعم.

- العراق يحتاجها بالتأكيد

- إذن لماذا كل هذا الاعتراض الحاصل؟

- نحن قلنا أولا ليس فيها شيء سري وثانيا ستُطرح على البرلمان إما يُصادقها أو لا يُصادقها ليس لدينا ما نخفيه، لذا من الأفضل أن نترك للعراقيين أن يقرروا احتياجاتهم. بالتأكيد يُمكن أن يختلفوا عليها، ولكن بالنتيجة يُقررون بالأكثرية وتمشي الأمور مثلما تمشي في أية دولة أخرى، أنا شخصيا أعتقد إن هذا يُعزز السيادة ولا يطعن في السيادة.

- أستاذ سمير البارحة قلت ملاحظة مهمة جداً وهي إن الناس كانوا يتوجسون من الوصول الى السفارة سابقاً.
- هذا شيء أكيد

- ولكن هذا الشيء ما زال موجوداً

- لماذا موجود الآن؟

- موجود في عقلية الناس لأن الناس الذين التقيت بهم قالوا ما أهمية السفارة لنا إذا كانت حتى غير قادرة على عمل جوازات لنا.

- سؤال وجيه ونحن نعمل بجد على حل كل هذه الإشكالات قريباً.

- نتمنى أن تعملوا على الفكرة التي طرحتموها البارحة بخصوص إنشاء جمعية عراقية أمريكية .

- نحن نريدها على مستوى أميركا بكاملها وتجمع كل العراقيين بغض النظر عن خلفياتهم ولو استطعنا أن نقوم بذلك فإننا سنُحقق وسيلة تواصل جيدة مع الوطن.

- هل وضعتم أسساً لها؟

- نحن لا نريد أن نكون المؤسسين، نحن نُشجعها، ولكن لا نؤسسها لأننا لو أسسناها ستظهر وكأنها أداة للدولة، ستكون ضمن السياسة، مَنْ يُسيطر عليها ومن يديرها وهل هذا الحزب مُمثل فيها أم لا؟ لا نريد أن ندخل في ذلك، نريدها أن تنشأ من منظمات المُجتمع المدني وغير مُسيسة ولصالح كل عراقي.

- هذه فكرة ممتازة ولي ملاحظة أخرى هي إن الإعلام العراقي ميت تقريباً في أميركا.

- في واشنطن يوجد إعلام وتتم تغطية بعض الفعاليات.

- كيف نستطيع أن نعرف عن نشاطاتكم؟

- تابعوها على الموقع الإلكتروني للسفارة www.iraqiembassy.us

- هل نستطيع أن نكتب إليكم بشكل مباشر؟

- أكيد تستطيعون.

- شكراً على هذه المقابلة كنت أتمنى أن يكون الوقت أطول لكي نُغطي مواضيع أكثر.

- شكرا وأنا مسرور بالتعرف عليكم.

ثم ودعنا بعضنا.

٨ تموز ٢٠٠٨